

## الإعجاز القرآني في الرسالة الشافية لـ " عبد القاهر الجرجاني "

### Quranic Miracles in the Book of "Syafiah" written by Abdul Qaher Jurjaani

Yuslina Mohamed (Corresponding author)

Faculty of Major Languages Study, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai  
78100, Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.

Tel: +60679886811 E-mail: yuslina@usim.edu.my

Zainal Abidin Hajib

Faculty of Major Languages Study, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai  
78100, Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.

Tel: +60679886770 E-mail: zainal@usim.edu.my

Nawal Obeid Dasuki

Language Center (TESOL), University of Jordan, 11922 Amman Jordan

Tel: +962/6/535500 E-mail: nawalobied@yahoo.com

Kauthar Abdul Kadir

Fakulti Al-qurandan Sunnah, Universiti Sains Islam Malaysia, Bandar Baru Nilai 78100,  
Nilai, Negeri Sembilan, Malaysia.

Tel: +60679886737 E-mail: kauthar@usim.edu.my

#### الملخص

كان القرآن الكريم - ولا يزال - مكان الصدارة في دراسة العلماء والباحثين، لأنه وحي السماء، ومصدر التشريع، والمرشد نحو الطريق المستقيم. يسيطر هذا الكتاب العظيم على ملكات الأدباء والدارسين، ويجتذب عقولهم، فيرون فيه أروع الخصائص الأدبية، فيعتكفون على دراسته، والغوص في بحر أسرارهِ، وفي مواطن إعجازه، ومن هؤلاء العلماء: الشيخ عبد القاهر الجرجاني. تتناول هذه الدراسة الإعجاز القرآني في (الرسالة الشافية) معرجة على المحاور الأساسية التي تناولها الرسالة ولاسيما قضية الصّرفة (بمعنى الامتناع أو العجز عن الإتيان بمثل آية من آي الذكر الحكيم...) فقد تصدى الجرجاني للقائلين (بالصّرفة) والذاهبين إلى أن بلاغة القرآن غير معجز عنها، وإن كفار قريش لم يعارضوه لأن الله صرفهم عن ذلك، ودعاهم إلى القول بأن القرآن معجز ببلاغته

ونظمه. تتناول هذه الدراسة الإعجاز في (الرسالة الشافية) لعبد القاهر الجرجاني وتحاول بيان المحاور العامة للرسالة موضحة نظرية الجرجاني في الإعجاز. وتخلص إلى أن (التحدي والمعارضة والصّرفة)، تكون هي النقاط الرئيسة التي تناقشها الرسالة. وتقف الدراسة عند نقاط مرتبطة بالنص عليها تضيء جوانب مما تزخر به هذه الجوهرة القيمة فتعقد المقارنة بين آراء الجرجاني وآراء عبد الجبار لإثبات مدى تأثر الأول بالثاني. وتقف برهة عند كتاب (سر الفصاحة) وتحاول الربط بين ما جاء فيه وما جاء في (الرسالة الشافية) من ثورات على ابن سنان وآرائه في اللفظ والصّرفة.

**الكلمات المفتاحية:** الإعجاز، الرسالة الشافية، الصّرفة.

## Abstract

Quran is a primary resource for Islamic scientists and researchers. As a divine revelation of heaven and the source of legislation, it guides towards "sirat al-mustaqim". The holy Quran dominates the work of great writers and scholars and has attracted their minds with the finest literary features which have been embarked in the study and have dived into the secrets, in "aagash of Quran" by Shykh Abdul Al-Qahir El-Gorjani. This study examined the miraculous Quran in RisalahSyafiah. He thwarted those who said (purely) the eloquence of Quran is non-miraculous, Even the Kufur Quraisy could not perform or create Quran because Allah (s.w.t) has blocked their hearts and their indictment to say that Quran is eloquence and rhetoric. This research has emphasized on "aaghash" (miracle or extraordinary) in "RisalahSyafiah" of Abdul Al-Qahir El-Gorjani, trying to explain general matters and El-Gorjani's theory about "aaghash", in which could be summarized that defy 'purely', as the main topic to be discussed. This research emphasized one of the topics related with a citation from the Quran (nas) in which could be developed and most valuable. Hence, in comparison between Al-Jurjaani opinion and Abd Al-Jabbar's opinion is to determine that Abd El-Jabbar had influenced El-Gorjani for his view and theory about "purely" (الصرفة).

**Keywords:** Miracle (Aaghash); Risalah Syafiah; Purely

## تمهيد

إن القرآن العظيم إنما نزل بلغة العرب، وبلسانهم، فاجتمع من هذا ومن دعوته إلى التدبر فيه: أن الدعوة إلى المعرفة بلغة العرب لا تزال قائمة.

إن القوم الذين نزل القرآن بلغتهم كانوا عرباً جرى القرآن في مقتضى قانون لغتهم، وتحداها مبادئها، فحجزوا، ويعجز من بعدهم من بعدهم أبداً لأن الإعجاز بالتحدي لا يزال قائماً: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن

عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿

وأيضاً، فالسورة الأولى التي أنزلت بمكة في أول العهد بنزول الوحي كانت غير منطوية على نظمٍ تشريعية، ولا قوانين تنظيمية، وإنما لحظ أولئك العرب الإعجاز في نظم هذا القرآن نفسه.

وعلى قدر المعرفة بلغة العرب تكون المعرفة بفضل القرآن وعلو شأنه، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها، وأراجيزها، وأسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة، وأجناس التجنيس، وبدائع البديع، ومحاسن الحكم والأمثال، فإذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان، فقد أوتي فيه العجب العجيب، والقول الفصل اللباب، والبلاغة الناصعة التي تُحير الألباب، وتغلق دونهما الأبواب، فكان خطابه للعرب، بلسانهم ليقوم به الحجة عليهم، ومجاراته لهم في ميدان الفصاحة ليسبل رداء عجزهم عليهم، ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم، فعجزت عن مجاراته فصحاءهم، وكنت عن النطق بمثله ألسنة بلغاتهم، وبرز في رونق الجمال والجلال، في أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال، ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة، كافرة بما جاء به أو مؤمنة .

فمن هذا المنطلق كان القرآن الكريم - ولا يزال - ملفتاً لأنظار العلماء والباحثين ومحلاً لدراساتهم وأبحاثهم.

استوعب هذا الكتاب العظيم على ملكات الأدباء والدارسين، وانبهرت عقولهم، لما تضمنه من أروع الخصائص الأدبية، فحكفوا على دراسته، والخوض في بحر أسراره، وفي مواطن إعجازه ومن هؤلاء العلماء الشيخ عبد القاهر الجرجاني.

تضمنت هذه الدراسة المتواضعة الإعجاز القرآني في (الرسالة الشافية) فعرجت على المحاور الأساسية التي تناولتها الرسالة لاسيما قضية الصّرفة (د.ت. Ahmad) وتصدى الجرجاني للقائلين بها، ودعاهم إلى القول بأن القرآن معجز ببلاغته ونظمه (د.ت. Ahmad)، ثمّ ذيلنا ذلك بوقفات بدت لنا عند تقليب صفحات الرسالة والتردد بين سطور الجرجاني.

### الإعجاز القرآني في الرسالة الشافية

قبل الشروع في عرض آراء الجرجاني رأينا أن نقف قليلا عند مدارج حياة هذه الشخصية العظيمة. هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أدرك أواخر القرن الرابع ثم توفي في القرن الخامس سنة 471 هـ .

كان الإمام فقيها شافعيًا متكلمًا على مذهب أبي الحسن الأشعري وكان إمامًا في النحو واللغة والأدب، استوعب ما كان من علم أبي علي الفارسي وابن جني، وهو الذي تولى شرح كتاب (الإيضاح) في النحو لأبي علي الفارسي وسمّاه (المغني) وهو في ثلاثين مجلدًا. ومن مؤلفاته: (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة)، و(آراء الجرجاني)، و(المقتصد)، و(التكملة)، و(العوامل المائة)، و(الجملة)، و(التلخيص)، (As-Suyutiy, 1965; Al-Qiftiy, 1952; Al-Haj, 1967).

### الرسالة الشافية

بدأ الجرجاني رسالته بذكر أنواع المعاني التي تحتاج إلى نوع معين من الألفاظ، ولا تقف المعاني بإزاء اللفظة المفردة بل الألفاظ المنتظمة في عبارات ولا تنتهي عند هذا الحد بل لا بد من تأدية هذه المعاني بعد تلبسها بالألفاظ لتصل إلى عبارة قريبة إلى أذن السامع وقلبه، فكان الجرجاني يشترط اختيار المعاني والألفاظ المناسبة ثم بعد ذلك ينتقل إلى العبارة المناسبة المؤثرة في السامع (Al-Jurjani, 1992)

ثم هاجم بشدة القائلين بأمّ مدح بيت... ودعاهم إلى المفاضلة على أساس النظم لا على أساس الألفاظ أو المعاني.

ويرى الجرجاني أن معاني القرآن لا تعود إلى صنف واحد بل أصناف ففيه (الحجج والبراهين، والحكم والآداب، والترغيب والترهيب، والوعود والوعيد، والتشبيه والأمثال، وذكر الأمم والقرون).

وهذا التعدد يفتح المجال أمام (Al-Jurjani, 1992) الشعراء والبلغاء إلى أن يعمد كل واحد منهم إلى الصنف الذي تنفذ قريحته فيه فيعارضه ويجعلون الأمر قسمة بينهم.

ويضيف أن تلك الأبيات النادرة في شعر الشعراء تأتي مرة كل مئة بيت بحيث لا يقدر الشاعر على الإتيان بمثلها (فقد ثبت بذلك إعجاز القرآن بنفس ما راموا به دفعه من حيث كان النظم الذي لا يقدر على مثله قد جاء منه فيما لا يُحصى كثرة من المعاني) (Al-Jurjani, 1992).

ويخلص الجرجاني إلى نتيجة كبرى وهي (إن العرب قد كانت تعرف المعارضة ما هي وما شروطها فلو كان النبي - عليه السلام - قد عدل بهم في تحدّيه لهم إلى ما لا يُطالب بمثله لكان ينبغي أن يقولوا: " إنك قد ظلمتنا، وشرطت في معارضة الذي جئت به ما لا يشترط أو ما ليس بواجب أن يشترط وهو أن يكون النظم الذي تعارض به في أنفس معاني هذا الذي تحدّيت إلى معارضته فدع عنّا هذا الشرط ثم اطلب فإننا نريّك حينئذ مما قاله الأولون وقلناه وما نقوله في المستأنف، ما يوازي نظم ما جئت به في الشرف والفضل ويضاهيه ولا يقصر عنه " وفي هذا كفاية لمن كانت له أذن تعي وقلب يعقل) (Al-Jurjani, 1992).

أفرد الإمام فصلا كاملا (في الذي يلزم القائلين بالصّرفة) من المعتزلة وأبطل فيه مذهبهم بردود شافية:

(1) يلزم القول بالصرفة: " أن تكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان وفي وجودة النظم، وشرف اللفظ وأن يكونوا قد نقصوا في قرائحهم وأذهانهم، وعدموا الكثير مما كانوا يستطيعون "

(Al-Jurjani, 1992). (2) أن تكون أشعارهم التي قالوها، وكل كلام اختلفوا فيه من بعد الوحي إلى النبي - عليه السلام - والتحدي إلى معارضته القرآن قاصرة عما سمع منهم من قبل ذلك القصور الشديد، وكذلك الأمر بالنسبة لأشعار شعراء النبي - صلى الله عليه وسلم - التي قالوها في مدحه وفي الرد على المشركين

(Al-Jurjani, 1992). (3) أن يشك في الذي روي في شأن حسان - رضي الله عنه - من نحو قوله - صلى الله عليه وسلم - " قل وروح القدس معك " لأنه لا يكون معناً مؤيداً من عند الله وهو يعدم مما كان يجده قبل كثيراً، ويتقاصر أنف حال عن السالف منها تقاصراً شديداً (Al-Jurjani, 1992). (4) كما يلزم أن يقضوا في النبي - صلى الله عليه وسلم - بما قضوا به في العرب من دخول النقص في فصاحتهم، وأن تكون النبوة قد منعت شطراً من بيانه وكثيراً مما عرف له قبلها من شرف اللفظ، وحسن النظم، وهذا باطل، إذ لم يشك أنه - صلى الله عليه وسلم - كان منقوصاً في الفصاحة قبل النبوة ولا بعدها، بل الذي أتت به الأخبار أنه كان أفصح العرب (Al-Jurjani, 1992). (5) إنه كان ينبغي أن كانت العرب منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها أن يعرفوا ذلك من أنفسهم، ولو عرفوه لذكروا ذلك فيما بينهم وشكوه إلى بعضهم، ولقالوا: حدث كلوا في أذهاننا، ولقالوا للنبي عليه السلام: إنا كنا نستطيع هذا قبل الذي جئتنا به، ولكنك قد سحرتنا واحتلت في شيء حال بيننا وبينه، وهذا ما لم يرد عنهم، ولم يذكر لهم قول في هذا المعنى بما يدل على فساد هذا الرأي (Al-Jurjani, 1992). (6) آية التحدي قوله تعالى:

﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: 88) تبطل القول بالصرفة ، وأنهم كانوا قادرين على التحدي لولا المنع ذلك أنه لا يقال عن

الشيء يمنعه الإنسان بعد القدرة عليه، وبعد أن كان يكثر مثله منه إني قد جئتكم بما لا تقدر على مثلها ولو احتشدتم له، ودعوتم الإنس والجن إلى نصرتكم فيه، وإنما يقال: إني أعطيت أن أحول بينكم وبين كلام كنتم تستطيعونه وأمنعكم إياه... كما أنه لا يعقل أن يقال: لو تعاضدتم واجتمعتم وجمعتم لم تقدروا عليه في شيء قد كان الواحد منكم يقدر على مثله ويسهل عليه ثم يمنعون عنه، وإنما يقال ذلك حيث يراد أن يقال: إنكم لم تستطيعوا مثله قط و لن تستطيعوه البتة (Al-Jurjani, 1992). (7) الأخبار التي جاءت عن العرب في تعظيم شأن القرآن، وفي وصفه بما وصفوه به من نحو: (إن عليه لطلاوة وإن عليه لحلاوة وإن أسفله لمعرق وإن أعلاه لمثمر) ذاك أن محالاً أن يعظموه، وأن يبهتوا عند سماعه ويستكينوا له وهم يرون فيما قالوه وقاله الأولون ما يوازيه ويعلمون أنه لم يتعذر عليهم؛ لأنهم لا يستطيعون مثله، وإنما وجدوا في أنفسهم شبه الآفة والعارض يعرض للإنسان فيمنعه بعض ما كان سهلاً عليه بل الواجب أن يقولوا في هذه الحالة: إن كان لا يتهيأ لنا أن نقول في معاني ما جئت به ما يشبهه، إنما تأتي في غيره من المعاني بما شئت، وكيف شئت بما لا يقصر عنه ولا يكون (Al-Jurjani, 1992).

ثم ناقش الجرجاني الذين يخوضون في زمن التحدي و الذين يقولون: (إنه لا يجوز أن يقدر الواحد من الناس من بعد انقضاء زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومضى وقت التحدي على أن يأتي بما يشبه القرآن، ويكون مثله لأن ذلك "يخرج عن أن يكون قد كان معجزاً في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وحين تحدى العرب إليه " قول لا يصح إلا لمن لا يجعل القرآن معجزاً في نفسه ويذهب فيه إلى الصرفة) (Al-Jurjani, 1992).

يذكر الجرجاني أن زمن التحدي قد انتهى بزمن البعثة الحمديّة وبذلك يوقعه أسلوبه الجدلي في تناقض فقد جمع بين قولين في قول واحد: فنراه يقول بانتهاؤ زمن التحدي بعد مبعث الرسول لمن يقول بان القرآن معجز بنظمه، ثم

يؤكد استمرارية التحدي لمن يقولون بالصرفة. انتهى الجرجاني إلى أن القران معجز بنظمه وتأليفه (وأنه وصف لا يهتدي الخلق إلى الإتيان بكلام في مثل نظمه وتأليفه على ذلك الوصف فلا يصح البتة ذاك) (Al-Jurjani, 1992). كاستحالة إحياء الموتى مهما امتد الزمن بالخليقة. ويختم حديثه بأن القارئ لا بد له من فتح نوافذ قلبه والاستماع إلى كلامه علّه يصل إلى عقله ويرجع عن ضلاله (Al-Jurjani, 1992).

### وقفات على هامش الرسالة الشافية

(1) إن لغة الجرجاني وأسلوبه كانا قريبين إلى لغة وأساليب المناطق، فقد اعتمد على الترتيب في إيراد الحجج المقنعة... للوصول إلى النتائج (Al-Jurjani, 1992). (2) كان الجرجاني واضحاً في قضيته إذ بين الهدف المنشود من الرسالة في مطلعها ثم انطلق إلى مناقشة محاورها (Al-Jurjani, 1992). (3) تعرض الجرجاني للحديث عن البلاغة بين الطبع والصنعة وبلاغة العرب والعجم وفرق بين بلاغة العرب قبل الإسلام وبلاغة المتأخرين من العرب في العصر العباسي وما بعده (Al-Jurjani, 1992). (4) وردت كلمة البديع في الرسالة إلا أن الجرجاني استخدمها على معناها اللغوي (الإبداع) لا على معناها الاصطلاحي (Al-Jurjani, 1992). (5) عرض الجرجاني بعض القضايا النقدية لاسيما عند حديثه عن الموازنة بين الشعراء، وطبقات الشعراء، وأمدح بيت، وأنسب بيت، وتفاوتت الشعراء في أقدراهم واشتمال كلامهم على البليغ وغير البليغ (Al-Jurjani, 1992)، وشروط استحسان الشعر وجعله قائم على نظمه ومدى تأثيره في النفس، وتحدث عن جمال الصور الفنية في شعر الشعراء وأكد أن هذا التفاضل يجب أن يسند إلى النظم والتآلف في الكلام لا للفظ فقط (Al-Jurjani, 1992). وكأنه يريد وضع قاعدة نقدية حديثة.

وهذا ما يؤكد محمد مندور حين يقول: (وفي الحق إن عبد القاهر الجرجاني قد اهتدى في العلوم اللغوية

كلها إلى مذهب لا يمكن أن تبالغ في أهميته، مذهب يشهد لصاحبه بعقريّة لغوية منقطعة النظير... ومذهب عبد القاهر الجرجاني هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري دي سوسير... لقد فطن عبد القاهر إلى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات)، ويضيف: (إذن فمنهج هذا المفكر العميق الدقيق هو منهج النقد اللغوي، منهج النحو، على أن نفهم من النحو أنه العلم الذي يبحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الأشياء) (د.ت. Mandur) " هذا هو منهج عبد القاهر وطريقة فهمه للنحو، ومنه ترى أنه لا يقف بالنحو عند الحكم في الصحة والخطأ بل يعوده إلى تعليل الجودة وعدمها حتى ليدخل في ذلك أشياء استقر فيها بعد يجعلوها من المعاني كمسألة التقديم والتأخير" (د.ت. Mandur).

(وهذا ينتهي بنا إلى ما نراه اليوم من أن النقد وضع مستمر للمشاكل وأن لكل جملة أو بيت مشكلة يجب أن يعرف كيف نراها ونضعها ونحكم فيها) (د.ت. Mandur).

ويؤكد ذلك د. خليل أبو جهجه حين يقول: (نستطيع القول أن عبد القاهر الجرجاني ابتدع منهجا لغويا تحليليا، يفسر القيمة في الأدب بما يقوم بين اللغة من علاقات) وهذا ما يؤكد د. خليل أبو جهجه في مقالته الأبعاد الجمالية في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني. (6) ومن خلال هذا العرض لطبقات الشعراء في الرسالة - يظهر لنا كأن الجرجاني كان متأثراً بابن سلام الجمحي ت(232-هـ) في كتابه (طبقات فحول الشعراء). (7) وردت كلمة فصاحة غير مرة في الرسالة وما نراه يستخدمها إلا بمعنى البلاغة فالفصاحة والبلاغة عنده بمعنى واحد (Qutb, 1967)، وبهذا أغفل أهمية القيمة الصوتية في اللفظ مما فسح المجال لانتقاده فيقول سيد قطب: (ومع أننا نختلف مع عبد القاهر في كثير مما تحويه نظريته هذه بسبب إغفاله التام لقيمة اللفظ الصوتية مفرداً أو مجتمعا مع غيره، وهو ما عبرنا عنه بالإيقاع الموسيقي كما يغفل

الظلال الخيالية في أحيان كثيرة ولها عندنا قيمة كبرى في العمل الفني، مع هذا فإننا نعجب باستطاعته أن يقرر نظرية هامة كهذه عليها الطابع العلمي دون أن يخل بنفاذ حسه الفني في كثير من مواضع الكتاب) وقال الدكتور محمد زكي العشماوي: (ولكن الذي نؤاخذ عليه عبد القاهر أنه في بحثه هذا الطويل والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة ومكوناتها الشعورية والمعنوية لم يفسح المجال لدراسة الجوانب الصوتية في اللغة ودلالاته على المعنى بشكل إيجابي. فليس من شك في أن جانباً هاماً من التجربة في الشعر مصدره الصوت والنغم) (Al-Uthmawiy, 1967).

ولكن عند الرجوع إلى (الرسالة الشافية) لا نجد رداً شافياً على المنتقدين له ويسعفنا في ذلك كتابه (دلائل الإعجاز) الذي استطاع أن يفصل فيه نظريته التي دافع عنها بشدة منادياً بأهمية النظم وإغفال الكلمة المفردة ولكن نراه في نهاية كتابه يقول: (واعلم أننا لا نأبي أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما ينقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز وإنما الذي ننكره وثقيل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزاً به وحده، ويجعله الأصل والعمدة، فنخرج إلى ما ذكرنا من الشناعات) (Al-Jurjani, 1992).

ومن ذلك ندرك أن الجرجاني اعتبر ما ذهب إليه المفضلون للفظ شيئاً يفترض تواجده في الألفاظ قبل الشروع في دراسة النظم.

(8) كتب الجرجاني رسالته الشافية في الإعجاز القرآني للرد على المعتزلة ورد شبهات كانت منتشرة في زمنه ونادى بالقول بنظرية النظم في مطلع رسالته، ولم يدل على ذلك بأية من القران يشرح فيها مذهبه ويفهم خصومه... ولكن نستطيع أن نجد له عذراً إذا ما نظرنا في كتابه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، فنراه يفصل نظريته ويدافع عنها دفاعاً عنيفاً وكأن الجرجاني رأى أن (الرسالة الشافية) لم ترو عطش الصادي

فانطلق ليشرح نظريته في الكتابين (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة).

أما محمد فقيهي فيعمل ذلك: أن الجرجاني هدفة دراسة الفن القولي مستشهداً في ذلك بالنصوص الأدبية من شعر ونثر ولم يستشهد بالقران ليكون أدبياً أكثر منه متكلماً (Al-Feqhi, 1981).

وهذا كلام بعيد عن الصحة فههدف الجرجاني خدمة القرآن وإثبات إعجاز القرآن كما وضح ذلك في الدلائل والرسالة (Al-Jurjani, 1992).

وهذا الربط بين مؤلفاته يظهر في تفصيل القول في الإعجاز والتحدي في الدلائل، فقد تابع الرد على القائلين بالصرفة (Al-Jurjani, 1992). وقوله: (ثم إن هذه الشناعات التي تقدم ذكرها، تلزم أصحاب الصرفة... ذلك أنه لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله لأنه معجز في نفسه...)

(9) يرى الجرجاني أن المعنى يتحقق عن طريق النظم ذلك أن اللفظ يتبع المعنى في النظم وأن الكلمات تترتب في النطق على ترتيب معانيها في النفس، وأنها لو خلت معانيها حتى تتجرد أصواتها وأصداء حروف لما وقفت في النفس (Al-Jurjani, 1992).

وكان الجرجاني قد وجد دولة الألفاظ قد طغت وكثر زعماءها فكان رد الفعل الطبيعي أن حاول نقل البيان القرآني خاصة والبلاغة عامة إلى حيز المعاني.

فنراه في الرسالة الشافية يرفض تفضيل اللفظ (Al-Jurjani, 1992)، ويدعو إلى نظرية النظم، وعند النظر في الدافع القوي الذي دفعه إلى هذا الهجوم القوي على القائلين بعلو شأن اللفظ نجد مهاجم بشدة القاضي عبد الجبار ونلمح ذلك في دلائل الإعجاز (Al-Jurjani, 1992)، فيقول (ومما نجدهم يعتمدونه ويرجعون إليه قولهم: "إن المعاني لا تتزايد

وإنما الألفاظ"، وهذا كلام إذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه (Al-Asad, 1960).

إلا أن هذا القول فصله عبد الجبار فقال: (اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، و لا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ولا يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضع التي تتناول الضم وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل منه (Al-Asad, 1960) واعتقد أن هذا القول يشكل النواة الأولى التي انطلق منها عبد القاهر في نظريته (النظم). وينتقد شوقي ضيف الجرجاني قائلاً: ( كان يكفيه أن يدع له أصل النظرية ، ويجوز فضيلة تفسيرها تفسيراً دقيقاً بحيث أصبح فعلاً صاحبها الذي صدرها وطبعها (Dhoif, 1965) ويضيف: ( كان - عبد القاهر - يريد أن ينتقم للأشاعرة من عبد الجبار وأضرابه من المعتزلة الذين أنكروا أن يكون الإعجاز في نظم مخصوص وردوه إلى الفصاحة) (د.ت. Ahmad).

وأضيف أن الجرجاني أراد في الرسالة وكتابه الدلائل أيضاً أن يهاجم بشدة معاصره ابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) في كتابه (سر الفصاحة)، فابن سنان من أشد المتحمسين لتفضيل اللفظ، (Khafaji, 2006) وكذلك من أشد المتحمسين لنظرية (الصرفة) - التي هاجمها الجرجاني - على اعتبارها الوجه الوحيد للإعجاز واستند في ذلك إلى قول للدكتور الحيارى: أن ابن سنان (هو أهم القائلين بالصرفة، إذ لا نعرف بلاغياً غيره تعلق بما على النحو الذي رأيناه عنده، واتخذ منها مذهبا يفسر به إعجاز القران، فمن البلاغيين من جعل الصرفة وجهها من وجوه الإعجاز، ولكن ابن سنان رأى فيها وجهها وحيدا لا وجه آخر معه فضلا عن ذلك تمسك بمعناها التقليدي المتداول في أن العرب كانوا قادرين على المعارضة لولا الصرف خلافا لغيره ( كالرمانى، والقاضي عبد الجبار والجاحظ أيضا)... فقد زاد في ذلك حتى على النظام نفسه أشهر القائلين بهذا المذهب) (Al-Hiyari, 2006)

والناظر في كتاب (دلائل الإعجاز) يستطيع أن يرى تشابها قويا بين الكتابين فقد تعرض الاثنان لقضية الإعجاز وتناولوا قضية السجع والكنائيات، كذلك نلمس من هجوم الجرجاني الشديد على من يفضل الألفاظ على المعاني في جل كتابه ولا نرى متحمسا للفظ أكثر من ابن سنان.

نلمح في كتاب (سر الفصاحة) هجوم على علم النحو فنراه يقول: " وكذلك التصريف من علم النحو لا يكاد مؤلف الكلام يحتاج إلى الشيء اليسير منه... وغير ذلك من مسائل قد وضعت في هذا الجنس فما لا أرى النحوي يفتقر إلى معرفته فضلا عن غيره" (Khafaji, 2006) في المقابل يهاجم الجرجاني بشدة الذين يسخرون من النحو و الصرف في كتابه (دلائل الإعجاز) فيقول: "فإن بدأوا فذكروا مسائل التصريف التي يضعها النحويين للرياضة ولضرب من تمكين المقاييس في النفوس... وقالوا: أتشكّون أن ذلك لا يجدي إلا كدّ الفكر وإضاعة الوقت؟! قلنا لهم أما هذا الجنس، فلسنا نعييكم إن لم تنظروا فيه) (Al-Jurjani, 1992).

وكان الجرجاني جعله ردا على ابن سنان في حديثه السابق .

ولكن لا نستطيع الجزم بما ذهبنا إليه فكلاهما عاش في العصر ذاته ولكن ابن سنان عاش في حلب والجرجاني عاش في جرجاني ولم يبرحها.

وختاما نميل إلى الأخذ بجميع وجوه الإعجاز - (من إعجاز علمي، وبلاغى، أحبار الأمم السابقة، ونظم... وغيرها من الوجوه) - باستثناء الصرفة، فنظرية النظم لها المقام الأول والرئيس ولكن لا ينبغي غض الطرف عن الوجوه الأخرى لما لها من دور في توضيح فكرة الإعجاز.

## خاتمة

تناولت هذه الدراسة الإعجاز في (الرسالة الشافية) لعبد القاهر الجرجاني وحاولت بيان المحور العامة للرسالة وتوضيح نظريته في الإعجاز. وخلصت أن (التحدي والمعارضة والصرفة)، كانت النقاط الرئيسة التي ناقشتها الرسالة. واستطعنا الوقوف على بعض الملاحظات التي تضيء جوانب مما تزخر به هذه الجوهرة القيمة وحاولنا عقد مقارنات بين آراء الجرجاني وآراء عبد الجبار لإثبات مدى استفادة الأول من الثاني. ووقفنا برهة عند كتاب (سر الفصاحة) محاولة الربط بين ما جاء في (الرسالة الشافية) من ثورات على تفضيل اللفظ والصرفة وتعصب ابن سنان للفظ والصرفة.

## References ( المراجع )

Ahmad, A. (t.t), Nazoriyyat al-E'jaz al-quraniwaatharuha fi al-naqd al-adabiy. Darul al-fakir al- Arabi, Kaherah, Egypt.

Al-Asad, A. Al-Q. A. J. (1960). al-Mughni Fi Abwab al-TauheedwalAdl, Juzu'. 16, (Fi E'jaz al-Quran), Tahqiq:Amin Khuli, al-Kaherah, Egypt.

Al-Feqhi, M. (1981), NazariyyahE'jaz al-Quran E'nda Abdul al-qaher al-Jurjani, Taba'h. 1, al-Maktabah al-Asriyyah, Beirut, Lebanon.

Al-Hiyari, A. K. (2006), E'jaz al-Quran baynaAr-RumaniwaIbnuSinan, Majallah al-Urduniyyah Lil Lughahiti Al-ArabiyyahWaAdabiyyah. al-Urdun.

Al - J u r j a n i , A . Q . ( 1 9 9 2 ) . DalailulE'jaz,Allaqaalayhi: Mahmud Shakir, Taba'h. 2,MatbaahMadani, al-Kaherah, Egypt.

Al-Qiftiy, J. A. I. Y. (1952). Anbahu al-RuwwahAlaAnba'i al-Nuhah, Tahqiq: Muhammad Abu Fadl Ibrahim, Darulal-Kutub, al-Kaherah, Egypt.

Al-Uthmawiy, M.Z. (1967), Qadhaya al-Naqd al-AdabiwalBalaghah,Darul Al-nahdahlitiba'ahWanashar, al-Kaherah, Egypt.

As-Suyuti, J. A R. (1965), BughyatulWua'ah Fi Tabaqat al-lughawiyinwannuhah, Tahqiq: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, DarAl-Fikr, Beirut, Lebanon.

Aydin, H. (2012) Jihad in Islam, Global Journal Al-Thaqafah, 2(2) : 7-15. doi : 10.7187/GJAT182012.02.02

Dhoif, S. (1965). Al- BalagahTatauwurWaTarikh, Taba'h.12, DarulMaarif, al-Kaherah, Egypt.

Al-Haj,K. (1967). KashfuAzzunun An Usami al-kutubwalFunun, Taba'h.3, Maktabah Al-sadar,Tehran, Iran.

Khafaji, I.S. (2006). Sirr al-Fasahah, E'tanaBihiWaKharaja As aarihi: Ghatashah al-Syawabkah, Taba'h. 1, DarAlFikr, Beirut, Lebanon.

Mandur, M. (TT), Al-Naqd al-ManhajiEnda al-Arab,DarulNahdah, al-Kaherah, Egypt.

Qutb, S. (1967), al-Naqd al-AdabiyUsuluhu wa Manahijuhu, Taba'h. 2, Darulshuruk, al-Kaherah, Egypt.